حاجتنا إلى إصلاح صحي

لحضرة صاحب العزة الدكتور عبد الرءوف حسن بك

مدير مصحة فؤاد الأول بحلوان

أهم الصعاب العملية التي تعترض سبيل الإصلاح الصحي في مصر مشكلة خطيرة قد لا تبدو لأول وهلة ذات صلة مباشرة بالصحة العامة : تلك هي مشكلة الجهل والفقر .

فالفقر مظهره الجوع والعرى وسوء التغذية ورداءة المسكن . وأنت لا تستطيع أن تحدث إلى الفلاح المصري الفقير عن النظافة وتوقي الأمراض وعلاجها، وعن الغذاء الجيد والرياضة المنظمة ، فكل ما يطمع فيه هذا المخلوق التعيس إنما هو أن تقدم إليه الخبز أيا كان نوعه والمأوى أيا كان شكله ، وبعد ذلك حدثه عما تشاء فلعله يفهم عنك ما تقول .

أما الجهل فأعني به قصور الغالبية العظمى من سكان الريف المصري عن فهم أصول الصحة الشخصية والصحة العامة ، لقلة التعليم من جهة، ولافتقار البلاد إلى الدعاية الصحية الشاملة من جهة أخرى .

ومن دواعي الأسف الشديد حقا أن يقترن الفقر والجهل في مصر بعدم توافر وسائل الوقاية والعلاج توافرا كافيا .

ولقد يضيق مجال القول هنا دون مشكلتي الفقر والمرض وما يترتب عليهما من آثار مدمرة للصحة العامة ، فلا أرى مندوحة عن أن أسرع إلى عرض أهم المشكلات الصحية التي تواجهها مصر عرضا صريحا صادقا دون تعمق مهني أو تفصيل فني تغيب دقائقه عن غير المتخصصين .

١ — المشكلة الأولى : ارتفاع نسبة الوفيات في مصر :

الشعب المصري لحسن حظه أو لسوء هذا الحظ ، لا أدري ، شعب مخصب كثير التناسل إذا هو قورن بغيره من الشعوب . ولكنه في الوقت عينه شعب يحصد الموت فيه الأرواح حصدا لا مثيل له في غير مصر من البلاد التي تعرف الاحتشاء . ولقد تدرجت الوفيات في الهبوط خلال الخمسين لسنة الماضية في جميع البلاد المتمدينة إلا في مصر ؛ فان نسبة الوفيات بها لم تنقص بتاتا منذ بداية القرن الحالي ، بل إنها بالعكس قد ارتفعت . والجدول الآتي يغنينا عن كل بيان :

متوسط نسبة الوفيات العامة فى مصر وفى انكلترا كل خمس سنوات

(عن الأستاذ الدكتور عبد الواحد الوكيل بك)

فى مصر			فى انجلترا		
١٩٠١ — ١٩٠٥	٢٥,٣	فى الألف	١٦,١	فى الألف	من السكان
١٩٠٦ — ١٩١٠	٢٦,٨	»	١٤,٨	»	»
١٩١١ — ١٩١٥	٢٧,٧	»	١٤,٣	»	»
١٩١٦ — ١٩٢٠	٣١,٧	»	١٤,٤	»	»
١٩٢١ — ١٩٢٥	٢٥,٣	»	١٢,٢	»	»
١٩٢٦ — ١٩٣٠	٢٥,٨	»	١٢,١	»	»
١٩٣١ — ١٩٣٥	٢٦,٢	»	١٢,	»	»
١٩٣٦	٢٧,٣	»	١٢,١	»	»
١٩٣٧	٢٧,٢	»	١٢,٤	»	»

ووفيات الأطفال فى مصر من سن خمس سنين فأ ل تبلغ نسبة فاجعة لا أدرى كيف أصورها التصوير الصحيح . فأكتفى بالقول بأن أكثر من نصف جميع الوفيات بالمملكة المصرية وفيات أطفال دون الخامسة . أى أن الأمهات المصريات التاعسات يتجشمن مشقة الحمل والولادة والرضاعة والسهر والتربية ليسلمن حوالى ربع مليون طفل فى كل سنة إلى يد الموت القاسية التى لا تشفق ولا ترحم .

نسبة المواليد فى الألف من السكان

فى أمم مختلفة فى سنة ١٩٣٧

(إحصائيات رسمية)

المملكة	نسبة المواليد	المملكة	نسبة المواليد
مصر	٤٣,٥	رومانيا	٣٠,٨
انجترا وويلز	١٤,٩	سويسرا	١٥,
فرنسا	١٤,٧	الهند	٣٤,٥
ألمانيا	١٨,٨	اليابان	٣٠,٦
إيطاليا	٢٣,٩	الولايات المتحدة	١٧,
بلجيكا	١٥,٣	استراليا	١٧,٤

ويلاحظ هذا أن نسبة المواليد فى مصر أعلى منها فى البلاد الأخرى، وهذا امتياز قد يبدو مشجعا لأول وهلة لولا أننا أمة تقدم مواليدنا للأمراض وللموت بنسبة مفزعة كما يبدو من مراجعة الإحصائيات التالية :

نسبة الوفيات فى كل فئة من العمر

مقارنة بين انجلترا ومصر

فئات العمر	بمصر	بانجلترا
٠ — ١	١٩٣ فى الألف	٦٠,٨ فى الألف
١ — ٥	٦٣,٣ »	٥,٥ »
٥ — ١٠	٧,٢ »	١,٩٧ »
١٠ — ٢٠	٦,٩ »	١,٧٥ »
٢٠ — ٣٠	٦,٤ »	٢,٧٣ »
٣٠ — ٤٠	٩,٢ »	٣,٣٥
٤٠ — ٥٠	١١,٩ »	٦,٠٦ »
٥٠ — ٦٠	١٧,٦ »	١٣,٤ »
٦٠ — ٧٠	٢٩,٦ »	٣ ,٧٩ »
٧٠ — ٨٠	٦٢,٩ »	٧٨,٤٢ »
٨٠ — ما فوق	٥٩٣,٩ »	١٦٠,٩٦ »
نسبة الوفيات العامة	٢٥,٤ فى الألف	١٢,١ فى الألف

الوفيات بالقطر المصرى فى سنة ١٩٣٧

حسب فئات السن (إحصاء رسمى)

فئات السن	عدد الوفيات	فئات السن	عدد الوفيات
أقل من سنة	١١٤٨٥٦	٤٠ الى ٤٩ سنة	١٨٣٧١
١ الى ٤ سنوات	١٢٧٥٩٢	٥٠ الى ٥٩ »	١٦٧٨٧
جملة	٢٤٢٤٤٨	٦٠ الى ٦٩ »	١٧٨٨٥
٥ الى ٩ سنوات	١٦٠٤٧	٧٠ الى ٧٩ »	١٨٨١٣
١٠ الى ١٩ سنة	١٥٥٣٠	٨٠ الى ٨٩ »	٢٠١١٨
٢٠ الى ٢٩ »	١٦١٢٧	٩٠ سنة فأكثر	٢٩١٥٩
٣٠ الى ٣٩ »	٢٠٦٦٩	جملة الوفيات	٤٣٤٢٠٨

يلاحظ أن وفيات الأطفال (أقل من خمس سنوات) أكثر من جملة الوفيات فى جميع الأعمار وهذا رقم مفزع حقا .

المشكلة الصحية الثانية — انتشار الأمراض فى مصر انتشارا مروعا وعدم كفاية وسائل الوقاية والعلاج فى هذه البلاد .

أرجو ألا أتهم بالغلو والمبالغة فى التعبير، فإنى أقدر ما أقول وأزنه وزنا دقيقا، ومع ذلك أوثر أن استشهد بغيرى ممن لا ترقى التهمة الى رأيه ولا يخالج الشك أحد فى صدق تقديره . يقول الدكتور عبد الواحد الوكيل بك أستاذ الصحة العامة بكلية الطب فى محاضرة له ألقاها بمؤتمر المجمع المصرى للثقافة العلمية بعد أن استعرض انتشار الأمراض فى مصر :

" هذه هى أمراض المصريين، اذا جمعنا بعضها الى بعض مرضا مرضا وجدنا جملتها زهاء خمسين مليونا ، أى أنها تكفى لإصابة شعب مؤلف من خمسين مليون نفس بحيث يصيب كل شخص منهم مرض واحد . فاذ وزعناها على المصريين، وهم ستة عشر مليونا، أصاب كل شخص فى المتوسط ثلاثة أمراض فى وقت واحد .

"واذا تبعنا مايفعله الاخصائيون الامريكيون وأردنا أن نترجم هذه الأرقام بالجنيهات التى تخسرها الأمة فى المجهود القومى بسبب الأمراض، واذا قدرنا أن متوسط قيمة المجهود الذى يبذله الشخص السليم فى السنة يساوى ١٢ جنيها فقط ، وأن المصاب بثلاثة أمراض يهبط انتاجه الى النصف — وهو تقدير شديد التواضع — رأينا أن ما تخسره مصر بسبب هذه الأمراض هو زهاء مائة مليون من الجنيهات فى كل عام . ذلك فضلا على الآلام البدنية التى لا يمكن تقديرها . وهى خسارة جديرة بأن تفتح العيون دهشة وتملأ القلوب هما وحسرة، وجديرة أيضا بأن يتذكرها ولاة الأمور حين يضمون ميزانية الخدمات الطبية الصحية التى تعجز بدونها عن تقليل هذه الخسارة المادية الكبيرة فى هذه البلاد".

بيان عن إصابات الأمراض الاجتماعية فى مصر

المرض	نسبة المصابين فى المائة	عدد المصابين (تقريبا)	المرض	عدد المصابين (تقريبا)
	٪			
الرمد الحبيبى	٩٠	١٤½ مليونا	الزهرى	١,١٢٠,٠٠٠
البلهرسيا	٧٥	١٢ »	السيلان	٨٢٠,٠٠٠
الانكلستوما	٥٠	٨ »	السل الرئوى .	٣٠٠,٠٠٠
الديدان المعوية	٥٠	٨ »	أمراض عقلية	٣٢,٠٠٠
الملاريا	٧	١,١٢٠,٠٠٠	الجذام	٥,٠٠٠
البلاغرا	٧	١,١٢٠,٠٠٠	أمراض معدية مختلفة... ...	٢٥٠,٠٠٠

المشكلة الصحية الثالثة — مشكلة القرية المصرية والعناية بصحة الفلاحين والعمال .

هذه مشكلة اثنا عشر مليونا من المصريين المنتجين الذين يكدحون و يعملون و يقوم الاقتصاد كله على مجهود سواعدهم . فحالة الصحية لهؤلاء من حيث رداءة المسكن وسوء الغذاء ونقص الملبس وانتشار الأمراض المنوطة بينهم ، حالة تدعو إلى الجزع الشديد . والمشكلة أشد يسيرة الحل بسبب تفشي الفقر والجهل في الريف المصري وتأثر الفلاحين في أربعة آلاف قرية تتبعها عشرون ألف قرية .

والحالة الصحية بين العمال في المدن سيئة جدا بسبب انخفاض الأجور وانتشار العادات السيئة بين العمال ونقص وسائل حماية العامل من أخطار حرفته . وبالرغم مما يحيط بهذه المشكلة من صعاب ، أستطيع أن أؤكد أن أعقد المشاكل لا يستعصي على الحل اذا عولج بفهم وعزم .

بيان تقديري عن معاهد العلاج : الموجود منها وما تحتاج اليه البلاد كحد أدنى

(عن الدكتور عبد الواحد الوكيل بك)

المعاهد	العدد الموجود	العدد المطلوب زيادته	عدد الأسرة الموجودة	عدد الأسرة الواجب زيادتها
مستشفى عام	٢٨	١٥٤	٩٠٠٠	٢٣٠٠٠
« مركزي ...	٤٣			
مراكز رعاية الطفل...	٥٥	٥٥٥	—	—
العيادات المدرية ...	١٩	٦١	—	—
مستوصف الدرن ...	١٤	١٣٦	—	—
مصحات الدرن ...	٢	—	٨٥٦	٢٣٤٤
عيادات البلهارسيا والانكلستوما... ..	٩٥	٢٠٠٠	—	—
مستشفيات الرمد ...	٨٧	٨٧٠	—	—
عدد الأطباء	٤٠٠٠	٤٠٠٠	مصريين وأجانب	موظفين وغير موظفين

ولست أريد أن أناقش تقدير الدكتور عبد الواحد الوكيل بك فى الأرقام التى وضعها لمختلف البنود، فهو كما يبدو لى ، يطالب بالحد الأدنى لكل بند . ولكنى ألاحظ أن الرقم الذى وضعه لعدد الأسرة الواجب إيجادها لمرضى السل رقم ضئيل جدا لا يناسب مع حالة انتشار هذا المرض فى مصر . ولو لم نزل بتقديره إلى هذا الرقم مرارا قدرة البلاد المالية ووجوب الاهتمام أيضا بالإصلاح الصحى فى غير ذلك من النواحى .

إحصاء دولى عن النقص فى نسبة الوفيات بالسل فى كل مائة ألف من السكان

المملكة	سنة ١٨٨١ — ١٩٠٠	سنة ١٩٠٠ — ١٩٢٧	الفترة بالسنوات	النسبة المئوية لنقص الوفيات
			سنة	٪
اسكتلندا	١٩٩	٧١	٤٦	٦٤
المانيا	٢٠٦	٨٢	٣٥	٦٠
انجلترا	١٧٣	٧٩	٤٦	٥٤
فرنسا	١٨٤	١٤٠	٢١	٢٤
سويسرا	٢١١	١٠١	٤٦	٥٢

وهذا يصور إلى أى حد تنجح الأمم فى مكافحة السل وإقلال الوفيات به بنسبة كبيرة متى ثابرت على الإصلاح الصحى .

ويطيب لى قبل أن أختم هذه الكلمة أن أذكر أنى مدين بكثير من البيانات والجداول والإحصاءات الواردة فيها لحضرة زميل وصديق الدكتور عبدالواحد بك الوكيل أستاذ صحة العائلة بكلية الطب ، وأن أقدم له أوفى عبارات الشكر لهذه المعاونة القيمة التى تفضل بإسدائها إلىّ .

عبد الرءوف حسن